تزكية عائشة لعبد الله بن عمرو بالحفظ والعلم

رضي الله عنهم

دروس وفوائـــد

إعداد الدكتور

إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

١٤٣٨هـ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: فالصفحة التي ستلي هذه المقدمة ، قصّة قصيرة تبيّن حرص الصحابة على العلم ، وتُظْهِرُ لنا صورة حيّة في عَلاقة الصحابة مع بعض ، وتوضّح لنا جانبا مهمّا من أخلاق العلماء ، بعضهم مع بعض .وهو حديث اخترته من ضمن أحاديث في فضل العلم،بعنوان:(تزكية عائشة لعبدالله بن عمرو بالحفظ والعلم) لنأخذ منه الدروس ، وتستنير به النفوس، ونستفيد منه في حياتنا .

وخطة الكتاب أنّي ذكرت الحديث ثم الفوائد منه ،وكل فائدة أكتبها اذكر مصدرها الذي أخذتها منه في الحاشية من المكتبة الشاملة وهي الأصل ،أو غيرها ، وقد أعدّل في العبارة قليلا ، أو أضيف ، ومالم اذكر مصدره فهو من استنباطي ، ولم استوعب جميع فوائد الحديث ،وعزوت الآيات إلى القرآن الكريم. وقد يكون للحديث عدة روايات، فلم أستقص بذكر أرقام الروايات الأخرى .وإنما اكتفيت بما ذكرت .

هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به كاتبه وقارئه ، وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد .

المؤلف

د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان
Ebrahim .F .W@Gmail.com

تزكية عائشة لعبدالله بن عمرو بالعلم والحفظ

عن عروة بن الزبير، قال: قالت لي عائشة: يا ابن أختي بَلَغَني أن عبد الله بن عمرو، مارٌّ بنا إلى الحج، فالْقِه فسائِلْهُ،فإنّه قد حَمَلَ عن النبي ﷺ عِلْما كثيرا، قال: فَلَقِيْتُه فساءلتُه عن أشياءَ يذكرُها عن رسول الله ﷺ ، قال عروة: فكان فيما ذكر، أن النبي ﷺ ، قال: «إن الله لا يَنْتَزِع العلم من الناس انتزاعا، ولكن يقبضُ العلماء فيرفعُ العلم معهم، ويَبْقى في الناس رؤوسا جُهَّالا، يُفْتُونَهم بغير علم، فَيَضُلُّون ويُضِلُّون» قال عروة: فلما حَدَّثْتُ عائشة بذلك، أَعْظَمَتْ ذلك وأَنْكَرَتْه، قالت: أحَدَّثَكَ أنه سمع النبي ﷺ يقول هذا ؟ قال عروة: حتى إذا كان قابل قالت له: إن ابن عمرو قد قَدِم، فالقه، ثم فَاتِحْه حتى تسأله عن الحديث الذي ذكره لك في العلم، قال: فلقيته فساءلتُه، فذكره لي نحو ما حدثني به، في مَرّتِهِ الأولى، قال عروة: فلما أخبرتها بذلك، قالت: ما أَحْسِبُه إلا قد صَدَق، أراه لم يزدْ فيه شيئا ولم يُنْقِص . [1]

من فوائد الحديث :

(١) حَمَل الصحابي عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي ﷺ علْمَا كثيرا .

(٢) "انتزاعا": مفعول مطلق للفعل بعده، وهو "ينتزعه"، والجملة حالية؛ يعني: لا يقبض العلم "من العباد" على سبيل أن يرفعه من بينهم إلى السماء، ويجوز أن يكون (انتزاعا) مفعولا مطلقا لـ (يقبض) من غير لفظه، و (ينتزعه): صفته. (لا يقبض العلم انتزاعا) أي: محوا من الصدور، قال ابن المنيّر: مع أنه جائز في القدرة؛ إلا أن هذا الحديث دل على عدم وقوعه. [2]

---

(١) صحيح مسلم ٢٠٥٩/٤ رقم ٢٦٧٣ .

(٢) التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي ٢٧٣/١ .

(٣) قوله:(ولكن يَقْبض العلماء)أي :يقبض أرواحهم . وقوله: (رؤوسا) بضم الهمزة والتنوين: جمع رأس، ورأس القوم: كبيرهم، ويروى: "رؤساء" بالمد، جمع: رئيس. [٣]

(٤) قوله:(رؤوسا جُهَّالا، يُفْتُونَهم بغير علم، فَيَضُلُّون ويُضِلُّون)؛ أي: صاروا ضالين في أنفسهم. ويُضِلُّون أي: جعلوا قومهم ضالين أيضا؛ لأنّهم اتبعوا جاهلا يدلُّهم . [٤]

(٥) فَضْل العلماء ، ومكانتهم .فلّما مات زيد بن ثابت ﷺ، وحضر عبد الله بن عباس رضي الله عنهما دفنه، فلما دَلَّوْهُ في قبره قال: من أراد أن يعرف كيف يرفع العلم، فلينظر إلى هذا. [٥]

(٦) قبْضُ العلم إنما يكون بموت العلماء ، وقبض أرواحهم ، فجرت عادته سبحانه بقبض العلم على هذه الطريقة لا بأن العالم يبيت عالما، ثم يصبح جاهلا، وإن كان نسبة القدرة إليها سواء، وهذا لطفٌ منه، فإنه لم يرجع بما تفضل به، بل كما كان عالما في الدنيا يحشره يوم القيامة مع ذلك العلم، ولو نزعه عنه كان عاريا عنه. [٦]

(٧) قوله: (يُفْتُونَهم بغير علم، فَيَضُلُّون ويُضِلُّون) ينبغي للمسلم أن يسأل العالم ، ويتحرى من كان عنده عِلْم ، ولا يسأل أيّ أحدٍ من الناس .لأنّ الفتوى من أمر الدين ، وقد يأخذ الإنسان تلك الفتوى ، ويَعْبد الله بها سنين ، وهو على الضلال ، وقد يموت على ذلك .

(٨) اعتماد العلماء على الحفظ . [٧]

(٩) (إن الله لا يَنْتَزِع العلم من الناس انتزاعا) فيه إشارة إلى كرامة العلماء على الله، حيث لا ينزع منهم ما وهبهم. [٨]

(١٠) من علامات الساعة رَفْعُ العِلم . [٩]

---

(٣) شرح المصابيح لابن المَلَك ١٩٨/١ .
(٤) المرجع السابق .
(٥) الكوثر الجاري إلى رياض أحاديث البخاري للكوراني ١٨٣/١ .
(٦) المرجع السابق ٢١٤/١ .
(٧) التوشيح شرح الجامع الصحيح للسيوطي ٢٧٣/١ .
(٨) المرجع السابق .
(٩) منحة الباري بشرح صحيح البخاري لزكريا الأنصاري ٢٩٨/١ . عمدة القاري للعيني ٨٣/٢ .

(١١) مصيبة موت العلماء ، وفَقْدهم . فهم مصابيح الدجى ، ومنارات يُهتدى بها .

(١٢) شَرَف العلم وأهله .

(١٣) (جُهّالا) أعمّ من الجهل البسيط؛ وهو انتفاء العلم، أو المُرَكّب؛ وهو انتفاؤه مع اعتقاد خلاف الواقع.

(١٤) التحذير من اتخاذ الجُهّال رؤوسا .

(١٥) إنّ آخر الزمان قد يخلو عن المجتهد ؛ كما قاله الجمهور خلافا للحنابلة.[١٠]

(١٦) الحثّ على طلب العلم ، وحفظه .

(١٧) التحذير من ترئيس الجهلة .

(١٨) الفتوى هي الرياسة الحقيقية ،وذم من يَقْدم عليها بغير علم .[١١]

(١٩) إنكار عائشة رضي الله عنها ذلك ،وإعظامه ظاهر في أنه لم يكن عندها من الحديث علم .[١٢]

(٢٠) قال عياض : لم تتهم عائشة عبد الله ،ولكن لعلها نسبت إليه أنه مما قرأه من الكتب القديمة. لأنه كان قد طالع كثيرا منها ،ومن ثَمّ قالت: أحدّثك أنه سمع النبي ﷺ يقول هذا .[١٣]

(٢١) حض أهل العلم ،وطلبته على أخذ بعضهم عن بعض .

(٢٢) شهادة بعضهم لبعض بالحفظ والفضل .فنجد في هذا الحديث :تزكية خاصّة من عائشة رضي الله عنها لابن عمرو رضي الله عنهما بالعلم والحفظ ، وهذه شهادة عظيمة .

(٢٣) حض العالم طالبه على الأخذ عن غيره ليستفيد مما ليس عنده .

(٢٤) التثبت فيما يحدث به المحدث إذا قامت قرينة الذهول .

(٢٥) مراعاة أهل الفضل ، والعلم ، فيما يصدر منهم من جهة قول عائشة اذهب إليه ففاتحه حتى تسأله عن الحديث، ولم تقل له سله عنه ابتداء خشية من استيحاشه .

---

(١٠) من ١٣-١٥ مستفاد من اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح للبِرماوي ٣٣/٢ .

(١١) من ١٦-١٨ مستفاد من فتح الباري لابن حجر ١٩٥/١ .

(١٢) المرجع السابق ٢٨٥/١٣ .

(١٣) فتح الباري لابن حجر ٢٨٥/١٣ .

(٢٦) قال ابن بطال :التوفيق بين الآية(ولا تقفُ ماليس لك به علم) [١٤] والحديث في ذم العمل بالرأي،وبين ما فعله السلف من استنباط الأحكام،أن نص الآية ذم القول بغير علم، فخصّ به من تكلم برأي مجرد عن استناد إلى أصل .ومعنى الحديث ذمّ من أفتى مع الجهل، ولذلك وصفهم بالضلال والإضلال، وإلاّ فقد مدح الله من استنبط من الأصل لقوله سبحانه:(لَعَلِمَهُ الذين يستنبطونه منهم) [١٥] . فالرأي إذا كان مستندا إلى أصل من الكتاب، أو السنة، أو الإجماع فهو المحمود. وإذا كان لا يستند إلى شيء منها فهو المذموم. [١٦]

(٢٧) المراد بالعلم هو العلم الشرعيّ الذي هو علم الكتاب والسنّة؛ لأنه المراد عند الإطلاق، لا العلم الدنيويّ . [١٧]

(٢٨) إذا ذهب العلم بموت العلماء، خَلَفهم الجُهّال، فأفتوا بالجهل، فعُمل به، فذهب العلم والعمل، وإن كانت المصاحف والكتب بأيدي الناس . [١٨]

(٢٩) العلم باب واسع ، وفناء فسيح ، لا يُلْحَق إلى طرفه ، ولا يُمكن للمرء أنْ يُلِمّ بالعلم كُلّه ، لذلك جاء في الحديث عن عامر بن سعيد بن أبي وقاص عن أبيه قال : رأيت رسول الله ﷺ يُسلم عن يمينه وعن يساره حتى يرى بياض خده فقال الزهري : لم يسمع هذا الخبر من حديث رسول الله ﷺ قال إسماعيل : كل حديث النبي ﷺ سمعته ؟ قال : لا قال : فالثلثين ؟ قال : لا قال : فالنصف ؟ قال : لا قال : فهو من النصف الذي لم تسمع . [١٩]فمهما بلغ الإنسان من العلم ، فما أُوتي إلاّ القليل منه ، قال سبحانه :(وما أوتيتم من العلم إلا قليلا) [٢٠].

---

(١٤) سورة الإسراء آية ٣٦ .

(١٥) سورة النساء آية ٨٣ .

(١٦) من ٢١-٢٦ مستفاد من فتح الباري لابن حجر ١٣/٢٨٧-٢٨٨ .

(١٧) مشارق الأنوار الوهاجة ومطالع الأسرار البهاجة في شرح سنن الإمام ابن ماجه لمحمد بن علي بن آدم الأتيوبي ٢/١٤٤ .

(١٨) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم للقرطبي ٢٢/٦٢ .

(١٩) صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان ٥/٣٣١ رقم ١٩٩٢ . وصححه شعيب الأرنؤوط . صحيح ابن خزيمة ١/٣٨١ رقم ٧٢٧ . وهو في صحيح مسلم بدون القصّة ١/٤٠٩ رقم ٥٨٢ .

(٢٠) سورة الإسراء آية ٨٥ .

(٣٠) قولها:(بَلَغَني) لم تذكر رضي الله عنها ؛ من أخبرها بقدوم عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، وليس ذلك مُهمّا ، إذ المهمّ أنه وصلها خبر وصوله إلى الحج .

(٣١) حرص عروة بن الزبير رحمه الله على طَلب العِلم ، وملازمته لعائشة خالته رضي الله عنها ، فقد حمل عنها علما كثيرا .

(٣٢) صحّة قبول خبر الواحد . حيث إنّ عائشة رضي الله عنها ، أرسلت ابن أختها عروة ليسمع الحديث من الصحابي رضي الله عنه .

(٣٣) سماع الخبر مباشرة ، ومشافهة بلا واسطة .

(٣٤) رواية الصحابة وسماعهم بعضهم من بعض .

(٣٥) طاعة عروة لخالته عائشة رضي الله عنها ،ولأنّه كان تلميذا لها .

(٣٦) مكانة ومنزلة عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما ، ودرجته العالية عند الصحابة رضي الله عنهم .

(٣٧) سؤال أهل العلم عمّا يُشْكِل .

(٣٨) العلم عِزّ ، ورِفعةٌ، وشرف .

(٣٩) مُصيْبة فقد العلماء .

(٤٠) الصبر على طلب العلم ، وتحصيله ، فلم يحصل ابن عمرو رضي الله عنهما ، على هذا العلم الكثير إلاّ بحبس النفس ، وثني الركب في حِلَق العلم .

(٤١) تَحمّلُ العلماء أسئلة الطلبة ، والصّبر على ثِقَل بعضهم ، وكثرة أسئلته ، فقد صبر عبدالله بن عمرو على كثرة أسئلة عروة .

(٤٢) خُطورة أمر الفتوى ، وعِظَم شأنها .

(٤٣) سماع الصحابي من التابعي ، فعائشة رضي الله عنها سمعت من عروة ابن الزبير من قوله:(فلمّا حدّثتُ عائشة بذلك) .

(٤٤) اهتمام عائشة رضي الله عنها بالعلم ،وبأمر الحديث ،لذلك حرصت على سماع العلم ،وهذا الحديث بالذات من عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما .

(٤٥) العِلم نِعمة من نِعم الله العظيمة . فمن أُوتي حظّا من العلم ، فقد أصاب خيرا عظيما ، وفضلا من الله كبيرا .

(٤٦) حِفْظ ابن عمرو رضي الله عنهما، وضبْطه ، وقوّة ذاكرته .

(٤٧) قوّ الذاكرة نعمة من الله ، وعامل قويّ ، ومساعد لحفظ العلم .

(٤٨) حرص الصحابة رضي الله عنهم على التثبّت فيما يروونه عن النبي ﷺ ، وما يسمعونه منه .

(٤٩) يُعْتبرُ هذا الحديث قصّة قصيرة تبيّن حرص الصحابة على العلم ، وترسم لنا لوحة رائعة في علاقة الصحابة بَعْضُهم مع بعض ، وتوضّح لنا جانبا مهمّا من أخلاق العلماء ، بعضهم مع بعض .

(٥٠) صيغة التحديث من أقوى صِيغ تحمّل الحديث ،وروايته .من قــوله: (فذكره لي نحو ما حدثني به) ، (فلما حَدَّثْتُ عائشة)،وقولها:(أحَدَّثَكَ أنه سمع النبي ﷺ يقول هذا) .

(٥١) قال الداودي: هذا الحديث خرج مخرج العموم. والمراد به الخصوص، لقوله صلى الله عليه وسلم (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله) [٢١] . ويقال هذا بعد إتيان أمر الله تعالى إن لم يفسر إتيان الأمر بإتيان القيامة، أو عدم بقاء العلماء إنما هو في بعض المواضع كفي غير بيت المقدس مثلا إن فسرناه به، فيكون محمولا على التخصيص جمعا بين الأدلة. [٢٢]

(٥٢) الهمّة العالية لدى عروة بن الزبير في طلب العلم .

(٥٣) الرّفعَة والفخار لهذا التابعي الهُمام عروة ،بأن تشرّف بالنهل من عِلْم أمّ المؤمنين عائشة رضي الله عنها ، زوج رسول الله ﷺ .

(٥٤) كان عبدالله بن عمرو رضي الله عنه مَرْجِعا للفتوى .

(٥٥) الصحبة الطيبة لها تأثير إيجابي على الشخص .فهذا عروة رحمه الله ، أكثر من صُحبة خالته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها .فكان لها الأثر الكبير في أخلاقه ، وعلمه . بل وغيّرت حياته كلها ، من إنسان بسيط إلى عالم ، وفقيه من الفقهاء الكبار الذين يُشار لهم بالبَنان .

(٥٦) حاجة الناس للعالِم ؛ لينير لها الطريق ، ويدلّها على الخير .

(٥٧) أهمية السؤال في الحصول على العلم .

(٥٨) من آداب طلب العلم السؤال .

(٥٩) اهتمام الصحابة بحفظ السُنّة ، رواية وحفظاً ، وتدوينا . [٢٣]

---

(٢١) صحيح البخاري ٢٠٧/٤ رقم ٣٦٤٠ . صحيح مسلم ١٥٢٣/٣ رقم ١٩٢١.

(٢٢) عمدة القاري للعيني ١٣٢/٢.

(٢٣) القبس في شرح موطأ مالك بن أنس لابن العربي ٨/١ .